مؤتمر التربية

الدولي السابع

لسيرة اصطياد الفرص

— الشخصية المرئية وغرفة الغاز —

— مصير الديمقراطية في محكمة المؤتمر —

كثرت المؤتمرات الدولية بعد الحرب الكبرى ولا سيما السياسية منها فلا يكاد ينتهي مؤتمر حتى يبدأ الاستعداد لآخر ينبأ العالم المتعطش إلى الطمأنينة والسلام بقتابه اليأس من أخفاقها تارة ويتعلل بالأمل في نجاحها أخرى راجياً أن يوفق الله ساسة الدول الى التوفيق بين المصالح المتعارضة والتغلب على روح الجشع والأثرة فيزيلوا شبح الحرب وما يقبعها من مصائب وويلات هي وصمة فاضحة في حضارة القرن العشرين . أما المؤتمرات العلمية والاجتماعية فشأنها يختلف عن المؤتمرات السياسية . يجتمع فيها المؤتمرون من شتى بلدان العالم بعيدين عن شوائب الأغراض وألاعيب السياسة للتعاون على تمحيص الحقائق والوصول الى نتائج عملية تنتفع بها الانسانية جمعاء. ولذا كان مؤتمر التربية الدولي من أهم تلك المؤتمرات بحكم مهمته التي لا غنى للدولة عنها ولا مندوحة لها عن العناية بها . حبذا بهذا المقال أرسم للقارىء صورة عامة للموضوعات العلمية والفنية التي عني بها والمشكلات الاجتماعية والدولية التي عالجها وبحثها حتى اذا شاق البعض شيء من بحوثه بادر الى اقتناء التقرير الشامل الذي ينتظر ان تصدره في آخر هذا العام رابطة التربية الحديثة صاحبة الدعوة إلى المؤتمر

مدينة شلتنهام بلدة جميلة حادثة لا يُربي سكانها على خمسين ألفاً . وهي تبعد عن لندن ساعتين ونصف الساعة بالقطار ويقصدها كثيرون لمياهها المعدنية وجمال المناظر الطبيعية من حولها ولذلك أختيرت لانعقاد المؤتمر الدولي السابع للتربية الذي افتتح في آخر أيام شهر يوليو الماضي في دار البلدية ودام انعقاده أسبوعين كاملين كان بين من حضر اجتماعاته فيها يمثلون رسميون من خمس وأربعين أمة من مختلف انحاء العالم في الشرق والغرب . وأهم فكرة دارت حولها خطب الخطباء ومناقشات المؤتمرين فكرة السلام والديمقراطية والحرية والسبل الموصلة اليها . الحرية في كل شيء في

تكوين الشخصية وفي المدرسة والقرية . ثم بحث وبحث هذا هو السبب الذي حمل حكومات ايطاليا والمانيا وروسيا التي يسودها الحكم المطلق على الاستئثار من الرجال مفكرين يشرفها بها معتقدة انها ان تخلق على غلبة الغيب على ان ذلك لا يمنع وجود أفراد من تلك الامم حضروا الى المؤتمر بتصميم الشخصية الاستقلالية من بحوثه المقبلة . فقد كان برنامج المؤتمر حافلاً حتى لم يترك فرصة تمر من دون ان يهيء فيها شيئاً لفائدة المؤتمرين . فمن خطب ومناقشات في موضوعات هامة الى محاضرات قيمة من المتخصصين الى عرض أفلام مفيدة إلى إقامة معرض في الرسم والاعمال اليدوية الى عرض نماذج لتمرينات رياضية . أضف إلى ذلك الفرص العديدة التي أتيحت لاجتماع المؤتمرين بعضهم ببعض في أوقات الراحة والتسلية وحتى تمرانه بتبادل الافكار وتمكين صلات المودة بين مختلف الامم . وها أنا أعرض على حضرات القراء أعمال المؤتمر وأهم الموضوعات التي أُلقيت فيه والمباحث التي تناولتها المحاضرات والمناقشات مع نبذ صغيرة اقتطفها من هنا وهناك ليلمسوا بشيء من الروح التي سادت جوه والاتجاهات التي تتجه نحوها التربية الحديثة في سيرها الحثيث

***

جاء زمن كان المربّون فيه يعتبرون الطفل لا شخصية له ويعطرونهُ بوابل من الدراسات ثم يستعيدونه اياها في الامتحانات . أما اليوم فقد أدركوا أن له شخصية مستقلة جعلوا يدرسون نواحيها المختلفة ويشجعونهُ على تنميتها وأصبح الاهتمام العلمي بالشخصية أهم المظاهر المشجعة في التربية الحديثة كما قال أحد خطباء المؤتمر . ذلك « ان عظمة التاريخ ما هي الا عظمة الشخصية وكل تربية لا يكون ذلك أساسها لا قيمة لها » فلا غرابة إذا عنيت هيئة المؤتمر بتكوين الشخصية الحرة وخصصت لها محاضرات عديدة تناولت معرفتنا الحاضرة عن نماء الشخصية وتأثير البيئة في ذلك النماء وما أفاده ارشاد الطفل في معرفة نموّه وعلاقة الشخصية بالتربية وبالعلم وبالفن . ولم ينسوا المعلم وهو من أقوى العوامل في تكوين الشخصية الحرة فقال أحدهم « قبل ان تستطيع التربية ايجاد الشخصية الحرة للاجيال المقبلة عليها أولاً أن توجد عدداً كافياً من المعلمين هم أنفسهم أحرار » . « ولما كان أعظم الأمم حضارة ما كان فيها للفرد قيمة وكان تحرير الضمير من سلطان السلطة أهم ما يتجلى في التاريخ الحديث » فقد كان حظ الحرية الشخصية وهي الثمرة الطبيعية لتكوين الشخصية الحرة موفوراً من بحوث المؤتمر ومحاضراته . فتناول أعضاؤه علاقة الحرية الشخصية بالحياة العائلية وبالنظام الاقتصادي وبالوقاية الاجتماعية وبالديمقراطية وبالفوضى الدولية وبالعلم وبالدين وهل التربية الدينية عامل في استعباد الفرد أم في تحريره . وفي ذلك قال أحد الخطباء « ان هناك نظريتين مختلفتين الى الدين أولاهما ترى فيه نظاماً من التحريمات

وهياً دائماً من محظورات وليس ذلك قصراً على الاديان الأرثية ذات التطرس بل يصدق كذلك على اوصايا اشهر معتقدات الكنيسة . مثل عقد التربية الدينية لا تساعد على الحرية . فالغاية فتنظر مثلاً الدين من ناحية سيكولوجية فتراه في الضمير الحي والحب والعاطفة التي تربط الانسان بأسمى ما في الحياة فما الدين الا التسامي عن حدود الطائفية وفوارق الجماعات وظهوره في حب عظيم شامل الانسانية كلها »

أما الطفل الذي يتمثل في نموه الأمل في تقدم العالم نحو المثل العليا والذي من أجله اجتمعت وفود المؤتمرين من أقاصي الارض لتبحث عن خير السبل لتربيته وتعليمه فقد تناولوا بالتحليل الدقيق نشأته ونموه من السنة الاولى الى الرابعة والمشكلات التي تعرض في نموه الطبيعي من السادسة الى العاشرة والتي تعرض كذلك في طور البلوغ وبعض ما يحدث من الانحرافات عن النمو الطبيعي وطرق علاجها ومعضلات سلوكه في المدرسة ووسائل علاجها واتخاذ اللعب كعلاج للاطفال وبحث الاحوال والعادات في تدريبه الخلقي وتربية الآباء وتبصيرهم في المتاعب التي تصيب أولادهم . قال أحد الخطباء بعد ان فسر الطفل الشقي ودافع عنه ولام الآباء وزوّدهم بكثير من النصائح « ان للطفل شخصية مستقلة عن شخصياتهم وله من الغرائز ما لأبيه وأمه وان كبت تلك الغرائز بشدة الآباء هو علة متاعب الطفل وشقائه في مستقبل حياته . والوالد الحديث يجب في الحقيقة أن يتعلم كيف يكون صديقاً ومستشاراً لأولاده بفضل ما يمتاز به عنهم من المعرفة لا أن يكون حاكماً بأمره مطلق التصرف في حياة أولاده »

وأما المدرسة الحديثة الحبيبة الى نفوس الأطفال التي يقبلون عليها ويأنسون فيها الى القائمين بأمر تعليمهم وتهذيبهم أنسهم بذويهم وآلهم وتسر مجتمعهم لما مع نمو أجسامهم فقد أتيح لاعضاء المؤتمر أن يشهدوا منها نماذج متنوعة على الشاشة البيضاء فرأوا مشاهد مختلفة من أحدث المدارس وأرقاها في الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا واليابان والنمسا والمجر وبلاد السويد وسويسرا وغيرها . وهذه المدرسة الحديثة هي التي تناولت المحاضرات علاقتها بالجماعة وبالعالم وتعاونها مع العائلة في مختلف البلدان ومكان العيادة الطبية في نظامها ووجوب التعاون بينها وبين الآباء والعيادة الطبية وأثر المطعمة المدرسية والاذاعة اللاسلكية في التلاميذ وتدريس العلوم الاجتماعية وما يمكن ان تمنحهُ الاختبارات العقلية للتربية ولمعرفة الاخلاق ، والاختبارات العلمية كبديل او ملحق للامتحانات وتجنب ارهاق التلاميذ في الامتحانات ببذل العناية قبل الامتحان لمعرفة مقدرتهم ، واختبارات المزاج وكيف يؤثر المزاج في اختيار المهنة واعطاء معنى لمناهج التعليم والتربية الوطنية واعادة تنظيم المناهج

هذا الى الموضوعات التي عرّفت السامعين بما يجري في مختلف الامم من التجارب ووجوه التقدم

فقد عرّفتهم بالجهود الجديدة في التعليم الثانوي بفرنسا ، وبالتربية الثانوية الفردية في هولاندة وبنظام التربية في روسيا السوفيتية ، وبالتعاون بين المدرسة الثانوية والجامعة لتحسين المناهج في الولايات المتحدة وبمبادئ المدارس وتقدمها في بلاد المكسيك وبارسليات اسبانيا البيداجوجية وبالاتصال لتبادل الثقافة والتنظيم الانشائي في العالم الحديث

***

هذه مجموعة المحاضرات العامة التي أتيح حضورها لجميع اعضاء المؤتمر أما المحاضرات الخاصة فقد ألقاها جماعة من المتخصصين كل في الفرع الذي يرتضيه وأتيح حضورها لمن شاء من اعضاء المؤتمر مقابل عشرة شلنات تدفع رسم اشتراك في الموضوع الواحد الذي يستغرق خمس محاضرات . وللعضو أن يشترك في اكثر من موضوع اذا شاء . ولن أطيل على القارىء في شرح عشرين موضوعاً تناولتها هذه المحاضرات مكتفية بذكر ما كان منها طريفاً لم تتناوله المحاضرات العامة السابق ذكرها كالعلاقات العائلية وفسيولوجية الجنس والتربية الجنسية وفن الاسترخاء العضلي وطريقة مزنديك في التربية البدنية والتفاهم الدولي في فصول الدراسة وأشفع كلمتي بنبذة موجزة توضح ما ترمي اليه : —

﴿ العلاقات العائلية ﴾ تأثرت بالتقدم العلمي والفني في القرن الاخير تأثراً شمل العلاقات الداخلية بين افراد العائلة الواحدة كما شمل علاقاتها الخارجية بالعادات والهيئات والمؤسسات في المجتمع . لذلك تناول البحث تأثير افراد العائلة بعضهم في بعض على ضوء اختلافات الافراد وحاجاتهم وكبر العائلة او صغرها وتبدل مقام المرأة وما يقتضيه الشعور بشخصيتها وأنواع السيادة والخضوع والمقاومة وعلة النزاع والغيرة والمنافسة وما للمال من الشأن كمصدر للقوة والسلطان والعلاقة الزوجية وأثرها في الاطفال والعلاقة بين الاخوة والاخوات وتأثير العائلة في تكييف الطفل للمجتمع في نجاحه أو اخفاقه

﴿ الاسترخاء العضلي للمعلمين ﴾ المراد منه مساعدة المعلم على اكتساب فن الاسترخاء relaxation وتهادي التعب الذي لا ضرورة له والتوتر الذي يعمل سواد المعلمين تحت تأثيره وهو تعبٌ اذا استمر يؤثر في الهضم والنوم ويؤدي الى امراض الاعصاب . ذلك ان الاجهاد يزيد حالة التوتر والتوتر يتطلب زيادة الجهد والجهد يزيد التوتر وهكذا فهو حلقة مفرغة وليس من السهل على المعلم التخلص منهُ من دون مساعدة . هذا إلى انهُ وجد بالاختبار ان المعلمين الذين يطبقون هذا الفن لا تقتصر فائدته عليهم وحدهم فتأثير المعلم المتوتر الاعصاب في تلاميذه لا يحتاج الى شرح وتعريف في حين تزيد الكفاية ويقل الجهد والتعب اذا انعكس الامر

(طريقة مونتسوري Montessori Method) في التربية البدنية طريقة علمية مؤسسة على علوم التشريح والفسيولوجيا والطبيعة تدرس في التمرينات الرياضية بحيث يعرف الطلاب بدور الاعضاء تركيب الجسم والقوانين التي يسير بموجبها وهكذا يتمرنون بالتمرينات ولا يتمرنها ويكسبون مرونة في حركاتهم وقدرة على ضبطها. وهذه الطريقة لا تستعمل فيها أدوات ولا موسيقى بل التوازن بين التوتر العضلي والاسترخاء تكسب الطالب مباشرة لحصر فكره في التمرينات التي يقوم بها لا غير

(سيكولوجية الجنس والتربية الجنسية) : شرح المحاضر الاساس الجسماني للدافع الجنسي والخصب واختلاف معنى الابوة عند الاب والام وفرّق بين الدافع الجنسي وبين الحب كما فرّق بين الحاجة الجنسية عند الحيوان والانسان وبعد ان اجمل شرح سيكولوجية الحب والمراهقة موضحاً الفرق بين غير البنات والبنين تطرق الى ذكر الصلات الغرامية وعلاقة المجتمع بالمسائل الجنسية وكيف يكيل فيها بكيلين مختلفين لكل من الجنسين وبعد ان شرح بعض العادات السرية عند الشباب واسبابها تكلم عن مهمة الآباء والمربين والاطباء ازاءها وواجبهم نحو إمداد الشباب بالمعلومات التي تنير سبيلهم وتساعدهم على فهم الطبيعة وتفهيم ما يتعرضون له من اخطار الجهل مبيناً أن دراسة علم الحياة في المدارس لا يكفي وحده لتحقيق هذه الغاية وختم الموضوع بالكلام عن التربية الجنسية كجزء من تربية عاطفية عامة وتطلع إلى حياة جنسية طبيعية

(التفاهم الدولي في فصول الدراسة) : تجربة هي الاولى من نوعها في أتكلترا الغرض منها توفير المعلومات عن بلاد الصين (التي يعتبر ما يعرف عنها في شكل صالح للاستفادة منه في المدارس قليلاً بالقياس الى ما يعرف عن غيرها) حتى اذا نجحت التجربة تناول البحث غيرها من البلدان كالهند واليابان وروسيا . ومحاضرات هذا الموضوع قصد بها اولاً فائدة مدرّسي الجغرافيا والتاريخ والدراسات الاجتماعية والحوادث الجارية الذين يرغبون في الوقوف على وصف واضح مختصر موثوق به للصين وعلاقاتها بغيرها من البلاد في العصور القديمة والحديثة مع امدادهم بالمراجع اللازمة. وقد تناول الموضوع بعض الافكار الخاطئة بالبحث وتساءل المحاضر هل ثقافة الصين القديمة ثابتة ؟ وهل لم تحيَ الصين الى عهد قريب جداً حياتها الخاصة بها منقطعة عن بقية العالم ؟ وهل اظهر الصينيون في الماضي قدرة على الاحتفاظ بحكومة منظمة ؟ وأليست الصين الآن في حالة فوضى ؟ وأليست متأخرة جداً من الناحية الاقتصادية ؟ ولا شك ان القارىء يرى ان الاجابة عن هذه الاسئلة اجابة صائبة لا تتيسر من دون معرفة شيء عن التقدم التاريخي لثقافة الصين وأول اتصال الصين بالعالم الخارجي ومعرفة احوالها الحاضرة وميولها الخ وهو ما تناولته تلك المحاضرات

هذا وقد نظمت هيئة المؤتمر اجتماعات للبحث والمناقشة في موضوعات عينتها يختص في منها أغراض التربية الثانوية وطرق تدريس المواد المختلفة وتنظيم المناهج وأبحاث حضورها لكل من يهمه موضوع منها من أعضاء المؤتمر وبذلك أتاحت لهم فرصة تبادل الافكار وتوجيه الاسئلة والمناقشة الحرة. كذلك ألفت عدة لجان وكل اليها بحث موضوع التفاهم الدولي وشكلة الامتحانات واعداد المعلمين والمدرسة والبيت والسيكولوجيا والتربية والتربية الافريقية (المقصود جنوب أفريقيا) واقتصرت العضوية في تلك اللجان على افراد توفرت فيهم مؤهلات خاصة أو كان لهم بموضوع البحث اهتمام خاص. ولما انتهوا مهمتهم أطلعوا أعضاء المؤتمر في اجتماع عام على النتيجة التي وصلوا اليها أو المرحلة التي قطعوها في بحوثهم ان كان الامر يتطلب التأجيل مدة استيفاء البحث والدرس

ولم تغفل هيئة المؤتمر وهي التي تعمل على تكوين الشخصية المتزنة الكاملة في النشء الناحية الفنية والرياضية في برنامج المؤتمر. فأقامت معرضاً دولياً للرسم والأعمال اليدوية كل ما عرض فيه من عمل تلاميذ وتلميذات تختلف أعمارهم من السنة الخامسة الى السادسة عشرة وقد تجلى في بعضها الابتكار والابداع تجلياً يستوقف النظر ويستدعي شديد الاعجاب وظهر أثر البيئة واضحاً في الكثير منها في موضوعاتها ومناظرها وألوانها. أما الأمم التي ساهمت في اقامة ذلك المعرض الطريف بعرض معروضات تلاميذها فيه فهي الصين واليابان والولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا والمجر وبولندا وبلغاريا وفنلندا وروسيا وامريكا اللاتينية. وكم صفق الحاضرون اعجاباً عندما قام تلاميذ أحدى المدارس الثانوية بتمرينات رياضية متنوعة بخفة ورشاقة مدهشة. وكم طربوا عند ما سرى الى اسماعهم انشاد التلاميذ وغناؤهم بأصواتهم العذبة ونغماتهم الشجية وهي تصاحب الموسيقى في ايقاعها تارة وتنفرد بالتغريد أخرى. ناهيك بالاستحسان والتقدير اللذين لقيهما فريق الطلبة الذي مثل رواية لشكسبير. فقد اجادوا ادوارهم كل الاجادة وبزوا في رأي الكثيرين المحترفين الذين مثلوا بعض روايات شكسبير في دار الأوبرا مدة انعقاد المؤتمر. وهكذا اثبتت هيئة المؤتمر أن عناية التربية الحديثة بالفنون لا تقل عن اهتمامها وعنايتها بالعلوم وأنها تسعى وراء المثل الأعلى وتنشده في الحق والصلاح والجمال

***

هذه خلاصة عامة لاعمال المؤتمر الذي حضره سندوبو مصر وعلى رأسهم صاحب العزة امين بك حسونه ناظر معهد التربية أرجو ان أكون قد وفقت في عرضها في ايجاز على القارئ وحققت الغاية التي توخيتها من كتابة هذا المقال